

Kingdom of Saudi Arabia

Ministry Education

Qassim University

Faculty of Science and Arts, Onaiza

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة القصيم

كلية العلوم والآداب بـعنيزة

بحث بعنوان:

الدلالات الرمزية لليل في الشعر السعودي المعاصر

د. بدرية بنت إبراهيم بن عبدالعزيز السعيد

عميدة كلية العلوم والآداب بعنيزة سابقا

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية وآدابها

كلية العلوم والآداب بعنيزة

جامعة القصيم

العام ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

تتقدم الباحثة بجزيل الشكر لجامعة القصيم ممثلة بعمادة البحث العلمي على دعمها المادي لهذا البحث تحت رقم (2353-cosao-2018-1-14-S) خلال السنة الجامعية 1440هـ/2018م"

**"The author gratefully acknowledge Qassim University, represented by the Deanship of Scientific Research, on the material support For this research under the number :**

**(2353-cosao-2018-1-14-S)**

**during the academic year**

**2018 AD/1440 AH"**

## الدلالات الرمزية لليل في الشعر السعودي المعاصر

### الملخص:

كان كثير من الشعراء العرب - وما يزالون - يلجأون إلى الجانب المبهم من الليل؛ فيتخذون من لفظه رمزا يعبرون بوساطته عن معاناتهم التي لا يستطيعون أن يعبروا عنها تعبيراً حقيقياً، وذلك لأسباب نفسية كشعورهم بالعجز عن التصريح، والخوف من نتيجة المجاهرة بمن تسبب في تلك المعاناة؛ فقد يتعرضون للأذى من الشخصيات التي كانت سبباً فيها، وأفصحوا عنها في قصائدهم، كما قد يتعرضون لسخط الرأي العام في حالة كون المعاناة عامة لا تخص أشخاصاً بأعينهم، وقد يكون سبب ذلك أيضاً توجه الشاعر الفني الذي ينطلق من إيمانه بأن الشعر لا بد أن يكتنفه الغموض والظهور بمظهر الإغراب.

وعن استخدام الشعراء السعوديين المعاصرين لفظ الليل بمعناه الرمزي ، ودلالات ذلك الاستخدام ومعانيه ، سيكون حديثنا في الصفحات القادمة.

وقد تعددت دلالات الليل الرمزي في الشعر السعودي المعاصر بين الدلالات السياسية والوطنية، والدلالات الاجتماعية، والدلالات النفسية، والدلالات الذاتية، وكان لكل نوع من هذه الدلالات عدة معانٍ نتبين حقيقتها ومعالمها في تناولنا لها في البحث إن شاء الله.

---

## The Symbolic Significance of the Night in contemporary Saudi Poetry

### **Abstract:**

Many of the Arab poets have focused in their poetry on the vague aspect of the night. They have used the word "night" as a symbol through which they can express their sufferings. They do this for various reasons. Some of which are psychological, for instance,

their inability to express their true feelings openly, their fear to reveal the real persons who caused their troubles, and consequently may be hurt by them later, or exposing themselves to the anger of the public opinion if their sufferings are due to general not to specific causes.

Sometimes this also goes back to artistic reasons, mainly the poet's belief that poetry has to have an ambiguous and weird quality.

In the following pages, I will deal with the symbolic employment and connotations of the night in the works of contemporary Saudi poets.

The symbolic connotations of the night in the contemporary Saudi poetry numerous. Some of them are political or patriotic and others are psychological, social or personal

Each type of these has its specific meanings and characteristics and all of which will be discussed in this research in shaa Allah.

#### تمهيد:

كان كثير من الشعراء العرب - ولا يزالون - يلجأون إلى الجانب المبهم من الليل؛ فيتخذون من لفظه رمزا يعبرون بوساطته عن معاناتهم التي لا يستطيعون أن يعبروا عنها تعبيرا حقيقيا، وذلك لأسباب نفسية كشعورهم بالعجز عن التصريح، والخوف من نتيجة المجاهرة بمن تسبب في تلك المعاناة؛ فقد يتعرضون للأذى من الشخصيات التي كانت سببا فيها، وأفصحوا عنها في قصائدهم، كما قد يتعرضون لسخط الرأي العام في حالة كون المعاناة عامة لا تخص أشخاصا بأعينهم، وقد يكون سبب ذلك أيضا توجه الشاعر الفني الذي ينطلق من إيمانه بأن الشعر لا بد أن يكتنفه الغموض والظهور بمظهر الإغراب؛ لأن فريقا من المتلقين لا يحمدون الشعر إلا إذا كان على تلك الصفات.

وكان كثير من الشعراء العرب - وما يزالون أيضا - يلجأون إلى الجوانب المشرقة من الليل؛ فيستخدمون لفظه بمعناه الحقيقي؛ ليتخذوا منه ملاذا يهربون إليه؛ فيثبته مواجههم، ويشكون إليه آلامهم، ومحققين بذلك المشاركة الوجدانية، والتجاوب النفسي الذي افتقدوه في دنيا الأناسي، كما يتخذون منه كذلك مسرحا طبيعيا بما يحتويه من مظاهر كونية متعددة؛ ليتغنوا بجماله وجلاله، وجمال تلك المظاهر الكونية وجلالها.

وعن استخدام الشعراء السعوديين المعاصرين لفظ الليل بمعناه الرمزي ، ودلالات ذلك الاستخدام ومعانيه، سيكون حديثنا في الصفحات القادمة.

### الليل الرمزي:

تعددت دلالات الليل الرمزي في الشعر السعودي المعاصر بين الدلالات السياسية والوطنية، والدلالات الاجتماعية، والدلالات النفسية والدلالات الذاتية، وكان لكل نوع من هذه الدلالات عدة معانٍ نتبين حقيقتها ومعالمها في تناولنا الآتي بعد، والتعبير بالرمز في الشعر العربي الحديث بصفة عامة، وفي الشعر السعودي المعاصر بصفة خاصة له أشكال متعددة تنطلق من عدة مؤثرات فنية مستحدثة وموروثة؛ فمنها الشكل المعتمد على رمزية شبيهة بالرمزية الغربية الحديثة، ومنها الشكل المعتمد على الرمزية العربية الموروثة التي يقصد بها الأساليب التي يعبر بها تعبيرا غير مباشر، والتي يمكن تسميتها برمزية التورية والتلميح أو رمزية الأسلوب، وأكثر من يلجأ إلى هذا النوع من الرمزية هم الشعراء المحافظون، ولجوؤهم إلى هذا النوع من الرمزية، قد يعود إلى بعض الوجوه السلبية للمحافظة التي "صهرت القيثارة الوجدانية، حتى ضجت أصداؤها بالشكوى، ودفعت التيار الرمزي الذي غلف الجو إلى ظلمة لا نجم فيها"<sup>(١)</sup> كما أن رمزية التورية والتلميح هذه "ناتجة عن غموض مقصود في اللفظة والعبارة، يتجاهل المعنى الشائع، وينصرف إلى معنى آخر غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ، وتكون في استعارة، أو في تشبيه أو في كناية، وقد تأتي

---

(١) د.عبد الله الحامد، الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية، دار الكتاب السعودي، الرياض، الطبعة الثالثة

بسبب غموض التفاصيل (التكثيف) الذي سماها علماؤنا الأقدمون (ازدحام المعاني) في البيت الواحد"<sup>(٢)</sup>.

أما الرمزية الشبيهة بالرمزية الغربية في الشعر العربي الحديث بصفة عامة؛ فهي التي وصلت إلينا بعد تدرجها شيئا فشيئا بتأثير الثقافات الأجنبية والحضارة الجديدة، وهي ما يمكن تسميتها برمزية الموضوع والأسلوب معا، أو رمزية الغموض، وأكثر من يلجأ إلى هذا النوع من الرمزية هم الشعراء المجددون، وهذه الرمزية تشبه رمزية السرياليين من أمثال: آلان بو، وبودلير، ورامبو، وغيرهم، والقصيدة في هذا النوع من التعبير الرمزي تكون غير واضحة "لأن الوضوح (كما يزعمون) يعري الأشياء من جمالها؛ فعلى الشاعر أن يكون ضابا ينطوي على الإيهام، وليس على الأديب أن يسعى إلى تفهيم القارئ؛ بل على القارئ أن يتأثر بالقصيدة من غير فهم؛ مستعينا بالموسيقى والمعجم، وعلى الشاعر أن يصرف الكلمات عن معناها الشائع، ويبعدها عن معانيها المعجمية، ويرفض الأبعاد الحسية بين الأشياء؛ مؤمنا بتراسل الحواس"<sup>(٣)</sup>. وكما قلنا: إن الرمزية الشبيهة بالرمزية الغربية هي رمزية في الموضوع والأسلوب معا، وهذا يعني انقسامها إلى نوعين: رمزية الموضوع، ورمزية الأسلوب، ورمزية الموضوع لها مضامين تتعدد وتفاوت في درجة إبهامها وغموضها؛ فنجد منها الشفيف الذي يم

كن الناقد أن يصل إليه، ومنها المغلق الذي لا يمكن الناقد من الوصول إليه؛ أما النوع الآخر من هذه الرمزية فتتضح ملامحها في الصور الرمزية الحديثة، ومن أبرز سماتها الغرابة، والإبهام، والإيحاء، وتتضح أيضا في الموسيقى وتوظيفها في الإيحاء بالمضمون<sup>(٤)</sup>.

وفي كلا النوعين السابقين وردت لدى الشعراء العرب الذين عبروا بالرمز عن معاناتهم المختلفة دلالات رمزية متعددة ومتنوعة، ومن أبرز هذه الدلالات: الدلالات السياسية والوطنية، والاجتماعية، والفكرية، والنفسية، والذاتية، والعامة المبهمة.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٦٧.

(٤) يراجع: د. درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي، مكتبة نضرة مصر، القاهرة، (بدون تاريخ) ص ٤٣٨ : ٤٥٧.

أما عن مدى استخدام تلك الدلالات لدى الشعراء السعوديين المعاصرين الذين عبروا بلفظ الليل تعبيرا رمزيا؛ فنوضحها في حديثنا الآتي.

### الدلالات السياسية والوطنية:

والدلالات السياسية والوطنية هي أكثر الدلالات ورودا من غيرها لدى الشعراء السعوديين، وأول ما نسوقه منها هنا هو ما عبر عنه هؤلاء الشعراء بلفظ الليل مرادين به معاناة الأمة، وقيل الوقوف على تلك الدلالات ومظاهرها تجدر الإشارة إلى أن هذا التفسير في هذه الدلالة وما سيأتي من دلالات؛ إنما هو اجتهاد شخصي مني، ولا يعني التفسير القاطع والنهائي لها؛ لأنها في النهاية تفسير وتأويل لرمز يحتمل وجوها متعددة؛ لكنني بنيت رأبي على الرؤية الذاتية القائمة على الاستدلال ببعض القرائن المعضدة لرؤيتي هذه.

وأول مظهر من مظاهر معاناة الأمة هو تبعات نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧م، وفي ذلك يقول الشاعر أحمد قنديل:

ماذا أقول؟!<sup>(٥)</sup>

وما تقول؟

والليل أقسم لن يزول

وأنا وأنت بجوفه

وكأننا

فيه

بقايا من طول

عانت به الأشباح ساخرة الهوى

سكرى .. معريدة ..

---

(٥) أحمد قنديل، ديوان: نار، منشورات قنديل التجارية للطباعة والنشر، جدة وبيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م،

تجول .. كما تجول  
داست على الصفحات  
من تاريخنا  
إلا فصول!!

يتساءل الشاعر يائسا محبطا عما يمكن أن يقوله، أو تقوله الشعوب في ظل تلك التبعات التي خلفتها هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧م التي منيت بها الأمة العربية كلها، وإن كان أثرها المباشر على مصر، وسوريا، والأردن، وفلسطين؛ لكن الأمة كلها تأثرت بها تأثرا شديدا؛ فضلا على المبادئ الدينية التي تؤكد أن الأمة كلها جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وأن نصرة الأخ واجبة سواء أكان ظالما أم مظلوما، فضلا على الوازع الخلقي والنفسي والتاريخي للأمة الذي يقتضي الوقوف صفا واحدا في مواجهة أعدائها.. أقول فضلا على ذلك هناك يقين لدى كل البلدان العربية أن المحتل الصهيوني يريد استكمال مشروع دولته من الفرات إلى النيل، وأن له أطماعاً توسعية كبيرة في قلب إفريقيا وعلى امتداد الوطن العربي؛ فاحتلال أجزاء من تلك البلدان المذكورة لا يعني إلا بداية تحقيق تلك الأطماع، والشاعر كما ذكرنا يتساءل في يأس وإحباط عما يمكن أن يقوله أو يفعله، أو تقوله الشعوب أو تفعله، وتلك التبعات قائمة لا تزول، تلك التبعات التي حولته وحولتهم إلى طول بالية بتأثير الانهزام والانكسار، وطوت الصفحات البيض من سفر تاريخ الأمة الناصع ومجدها التليد؛ لكن على الرغم من ذلك مازال هناك فصول باقية؛ إنه الأمل في النصر على ذلك المغتصب، واسترداد الأراضي السليبة، ومن ثم استرجاع الكرامة المفقودة.

والرمز في هذا النموذج من نوع الرمزية الشبيهة بالرمزية الغربية الحديثة المعتمد على رمزية الموضوع المتفاوت في درجة الإبهام والوضوح؛ إذ يصعب على المتلقي بيان معنى الرمز بسهولة، والملاحظ أن الشاعر اعتمد فيه على الإبهام في معظم أسطر النموذج، كما اعتمد على الإيحاء في الأسطر الثلاثة الأخيرة، وعلى الرغم مما سبق فالشاعر حاول كشف الرمز في مقطع آخر من القصيدة ذاتها، يقول:



والواقفون على خطوط النار<sup>(٦)</sup>

لن يرضوا القفول

فهم الذين بصيرهم

عاشوا لنا

وبهم نصول من يصول.

فالواقفون على خط النار يشير إلى الجنود الذين كانوا على جبهات القتال في مواجهة الكيان الصهيوني لتحرير شبه جزيرة سيناء، وقطاع غزة والضفة الغربية، وهضبة الجولان التي تم احتلالها في يونيو ١٩٦٧م، ومن المعروف أن تاريخ نشر الديوان هو ١٩٦٧م وقبل هذا التاريخ لم يكن هناك قتال إلا في ١٩٥٦م وكان من قبل العدوان الثلاثي: بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر عقب تأميم قناة السويس المصرية، ومعروف أن آخر ديوان للشاعر كان ديوان أغاريد الذي أصدر سنة ١٩٥٣م وربما يقول قائل: قد يكون المقصود هنا الحديث عن مواجهة العدوان الثلاثي، وأن القصيدة كتبت بعد إصدار ديوان أغاريد ١٩٥٣م ما بين ١٩٥٦م و١٩٦٧م، ونشرت في ديوان نار بعد ذلك، والحق أن مفتتح القصيدة التي معنا ينفي هذا الاحتمال؛ لأنها بدأت يائسة محبطة، وهذا ما يتواءم مع حالة الأمة العربية بعد الهزيمة في يونيو ١٩٦٧م، ومعروف أن العدوان الثلاثي انهزم شر هزيمة لأسباب متعددة داخليا وخارجيا، وهذا في حد ذاته يتنافى مع اليأس والإحباط اللذين بدأت بهما القصيدة، ومن ثم يؤكد أن القصيدة كتبت في هزيمة يونيه ١٩٦٧م.

وقد كان لمعظم الدول العربية تحركات وجهود في مساندة الدول العربية المحتلة، وكان للشعراء دورهم الكبير في هذا، هذا وإن كان الشاعر يائسا محبطا في هذه القصيدة؛ فقد كان

---

(٦) المصدر السابق، ص ١٧.

الشاعر متفائلا، ومشجعا، ومحرضا على القتال في قصيدة أخرى من الديوان نفسه هي قصيدة "يوم الدم" التي يقول فيها معبرا برمز الليل أيضا:

ولكل ليل فجره<sup>(٧)</sup>

بالصامدين من الرجال

بالثابتين على النضال

وراح الشاعر يلح إلحاحا على هذه المعاني في هذا المقطع؛ فكرره أربع مرات في مواضع عدة على امتداد القصيدة؛ كأنه يريد أن تلازم هذه العبارات أسماع جنود الجيوش العربية وقلوبهم، وتصاحبهم في كل وقت؛ حتى يتحقق هذا النصر، وهذا ما حدث بالفعل بعد ذلك بست سنوات في حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ السادس من أكتوبر ١٩٧٣ م.

ومن مظاهر معاناة الأمة أيضا مدلتها وتسلط الأعداء عليها، ومن النماذج التي تناولت ذلك نموذج للشاعر سعود الصاعدي من قصيدته "إن جاءك الليل" التي يقول في مطلعها:

---

(٧) أحمد قنديل، ديوان: نار، ص ٦٢.

إن جاءك الليل، واستوحشت ظلمته

فقل لها: جاء بي من هاهنا القمر<sup>(٨)</sup>

وفيها يقول:

فأمتي غاب حاديتها وقد شربت كأس المذلة، والأعداء تأتمر  
جاءوا يؤمون أرض الخير تسبقهم جحافل أمرت، يا بنس من أمروا  
وأمتي بنس ما تخفيه من عدد لما استنامت وطاب الفي والشم  
وهي التي في زمان مر قسورة إن صاح منها زئير فرت الحمر  
والليل ضاق من الألحان مزدحما فصار لله حتى الرقص والسمر  
ما الغرب إلا أحاديث وأخيلة فقد عمرنا من الأجواء ما عمروا

معاناة الأمة ليست أمرا مستحدثا في هذا العصر؛ فعلى مدى تاريخها الطويل ولأسباب متنوعة ومتعددة قد شهدت كثيرا من تلك المعاناة.

---

(٨) <http://www.adab.com> / سعود الصاعدي، الموسوعة العالمية للشعر العربي، أدب، قصيدة: إن جاءك الليل، لم تطبع في ديوان، كما هي إفادة الشاعر للباحثة بتاريخ ٢٠١٦/٢/١٥ م. من مواليد مكة المكرمة ١٣٨٩ هـ، حصل على البكالوريوس في اللغة العربية - قسم الأدب - من جامعة أم القرى عام ١٤١١ هـ، عين معلماً للغة العربية عام ١٤١٢ هـ بوزارة التربية والتعليم وعمل بها حتى سنة ١٤٢٨ هـ - وعين معيداً في جامعة أم القرى بقسم البلاغة والنقد عام ١٤٢٨ هـ، حصل على الماجستير في اللغة العربية - قسم البلاغة والنقد - عام ١٤٢٨ هـ - عن أطروحته العلمية ( تأويل الرؤيا في الصحيحين وعلاقته بقراءة النص الشعري )، حصل على شهادة الدبلوم العالي من كلية الشريعة عام ١٤١٨ هـ. له من المؤلفات: حادي الركب ( مجموعة شعرية ) ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م - تأويل النصّ ( دراسة نقدية ) ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م - خارج العالم ( رواية ) ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م. وتحت الطبع: حافر ونيزك ( مجموعة شعرية ) - على قارعة الطريق ( مقالات ) . له مشاركات في الصحف والمجلات المحلية و العربية وله زاوية صحفية بجريدة المدينة تحت عنوان ( خارج السياق )، موقع جامعة أم القرى. <https://uqu.edu.sa/staff/ar/4280307>.

والنموذج المذكور آنفا يؤكد هذا الأمر؛ فحادي الأمة غاب؛ ذلك الحادي الذي يوحد الأمة كلها تحت راية واحدة، ويجمعهم على كلمة سواء، وأهداف سامية، ومن هنا تفرقت الأمة، وبدا ضعفها واضحا؛ فطمعت فيها أعداؤها، والطامعون في نهب خيراتها، فشمروا عن ساعد الجدد؛ آمين بلادنا لتحقيق مآربهم غير المشروعة مؤتمرين بأوامر الأشرار من قياداتهم الرعناء، كل هذا والأمة على الرغم من كثرة شعوبها غافية لم تحرك ساكنا، ولكن الشاعر يحاول أن يوقظ هذه الأمة ويحثها على النهوض، وذلك بتذكيرها بتاريخها المجيد والحافل بالبطولات والانتصارات والتقدم في شتى مجالات الحياة، كما يذكرهم بماضي أعدائهم المظلم والمهين؛ ولكن لا حياة لمن تنادي.

أما نوع الرمزية الذي لجأ إليه الشاعر في النموذج السابق فهو الرمزية العربية الموروثة، أو ما يعرف برمزية التورية والتلميح؛ فقد اتضح المقصود من لفظ الليل مع التأمل اليسير، وساعد في ذلك السياق العام للقصيدة، والمعاني المتداعية فيها، وعدول الشاعر إلى الخطاب المباشر عن الأمة ومعاناتها من المذلة والتأمر بعد خطابه الرمزي في البيت المتضمن لفظ الليل.

ومأساة فلسطين - التي كانت ومازالت قضية العرب الأولى - من معاناة الأمة كذلك؛ فعلى الرغم من أن كل الدلالات السابقة تتضمن مأساة فلسطين بوصفها جزءا لا يتجزأ من جسد الأمة؛ نجد الشعراء السعوديين يخصصونها بحديث مستقل في أشعارهم؛ ففي قصيدته "أما لهذا الليل من آخر" يقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي:

خمسون عاما في دروب الأسي من غير ما حُف ولا حافر<sup>(٩)</sup>  
والليل مزهوّ بظلمائه وأمتي في غيها السادر

تنفض ثوب الصمت مذعورة وتشتكي من حظها العاثر  
كأنها ما أسرجت للهدى خيل المدى في عصرها الغابر  
هذي فلسطين التي أصبحت تكس أرض الذل للكافر  
لا تتركوها تحتسي بؤسها وحيدة في قبضة السامري  
تشكو ظلام الليل كم عربدت أوهامه في قلبها الطاهر  
ليل تلاشى الطول في طوله وصار مثل الأسد الكاسر

خمسون عاما مضت على معاناة الشعب الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨م حتى تاريخ كتابة هذه القصيدة؛ خمسون عاما منذ أن تم تنفيذ قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، ومنذ اتفق

(٩)د.عبد الرحمن العشماوي، ديوان: شموخ في زمن الانكسار، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ٣، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١٦٢؛ ولد في قرية عراء في منطقة الباحة بجنوب المملكة عام ١٩٥٦م وتلقى دراسته الابتدائية هناك وعندما أنهى دراسته الثانوية التحق بكلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ليتخرج منها ١٣٩٧ هـ، ثم نال شهادة الماجستير عام ١٤٠٣ هـ وبعدها حصل على شهادة الدكتوراه من قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي عام ١٤٠٩ هـ، درج في وظائف التدريس في الجامعة نفسها حتى أصبح أستاذاً مساعداً ، شاعر إسلامي كبير، له مقالاته الدائمة في الصحف السعودية ، أديب ومؤلف وله مجموعة من الكتب مثل كتاب "الاتجاه الإسلامي في آثار علي أحمد باكثير"، وكتاب "من ذاكرة التاريخ الإسلامي"، و"بلادنا والتميز" و"إسلامية الأدب" كما أنه له مجموعة من الدراسات مثل دراسة "إسلامية الأدب، لماذا وكيف؟" وللشاعر دواوين كثيرة مثل : إلى أمتي، صراع مع النفس، بائعة الريحان، مأساة التاريخ، نقوش على واجهة القرن الخامس عشر، إلى حواء، عندما يعزف الرصاص، شموخ في زمن الانكسار، يا أمة الإسلام مشاهد من يوم القيامة، ورقة من مذكرات مدمن تائب، من القدس إلى سرايفو، عندما تشرق الشمس، يا ساكنة القلب، حوار فوق شرع الزمن، قصائد إلى لبنان، منتديات منابر ثقافية > منابر علوم اللغة العربيّة > منبر الأدب العربيّ > منبر ديوان العرب > مع الشاعر : عبد الرحمن العشماوي.

http://www.mnaabr.com، شبكة مشكاة الإسلامية، http://www.almeshkat.net

الإنجليز مع اليهود على أن يحلوا محلهم في فلسطين بعد جلائهم عن مصر، وتسليم اليهود مدينة حيفا ثغر فلسطين المهم<sup>(١٠)</sup> خمسون عاما؛ بل تزيد والشعب الفلسطيني يعاني من سيره في دروب الحزن والأسى دون واقٍ يقيه، وبلا حامٍ يحميه ويلات تلك الدروب الملتهبة، كل ذلك والأمة رغم جهودها غير المنكرة في إغاثة فلسطين ما تزال في مرحلة المحاولات المتواضعة، وأن إمكاناتها لا تمكنها من تحقيق النصر على هذا الغاصب المحتل؛ الأمر الذي جعلها تشتكي دائما هذا الحظ العاثر، وتكاد تستسلم لهذا الأمر الواقع؛ كأنها نسيت أو تناست تاريخها المجيد في صنع البطولات الخالدة، ولم يرتض الشاعر هذا الوضع المزري للأمة؛ فراح يحثهم ويحضهم على ألا يتركوا فلسطين وحدها في هذه المأساة تحتسي البؤس والظلم؛ لا بد أن يغيثوها من هذا الليل الحالك الذي طال بهم، واستفحل بعريضة أوهامه في قلبها النقي الطاهر.

والرمز في النموذج السابق يبدو أنه من النوع العربي الواضح الذي ينأى عن الغموض، ولا يحتاج إلى كد الذهن في بيان دلالاته.

وإسهامات الشعراء السعوديين في التعبير عن مأساة فلسطين لا تقف عند هذا النموذج فقط؛ فأكثر الشعراء بمختلف توجهاتهم لهم إسهامات عديدة في هذه المأساة بكل أبعادها كمأساة المسجد الأقصى، واللاجئين، والانقسام الداخلي، وغير ذلك، ويكفي أن نعرف أن شاعرا كحسن عبد الله القرشي - كما سبق أن أشرنا - قد خصص ديوانين كاملين لهذه المأساة هما: "فلسطين وكبرياء الجرح" و "لن يضيع الغد".

ومن مظاهر معاناة الأمة كذلك فقر الشعوب بسبب نهب خيراتها، وهذا ما بدا واضحا في قصيدة "أشجان الليل" للشاعر حسين عرب التي يقول فيها:

---

(١٠) يراجع: عبد الرحمن الراجعي، في أعقاب الثورة المصرية، ج ٣، ط ١ (د.ت)، ص ٢٥٣.

يا ليل ما الآمال؟ ما وهم الحجي؟ ما العالم الممطول في أحقابه؟<sup>(١١)</sup>  
 ضل السّراة به السبيل، وآدهم طول المسير؛ فأسرعوا بنهايه  
 الجائعون، تمرغت بترائهم واستأسدت في الغاب سعر كلابه  
 والظامئون قد استبد بمائهم في المهمة المجهول شهب ذنابه  
 شربوا، إذا شربوا القذى وتوسدوا ظهر الأديم، وعفروا بترابه  
 تتراكض الأطماع فوق رقابهم ركض المعربد صال فوق ركابه

هكذا يخاطب الشاعر الليل قاصدا به فقر الشعوب؛ مسائلا إياه تساؤل العالم لا الجاهل عن حقيقة آمال تلك الشعوب ومصيرها في ظل أوضاعها المتردية، وعن ذلك الذي يحدث من أمور تنافى مع رجاحة العقل وصائب التفكير في ظل تلك الأوضاع أيضا، كما يسائله عن ذلك العالم المتسبب في تلك الأوضاع التي طال أمدها أحقابا دون أي انفراج أو تقدم؛ حتى ضل شرفاء الأمة وساداتها طريقهم إلى الصباح، كما أن أولئك السائرين في هذا الليل الباحثين عن الأمل قد أثقلهم طول الرحلة وعثرات الطريق؛ فما كان من أعداء الأمة والطامعين فيها . والحال هكذا . إلا أن ازدادوا تكالبا على نهب خيراتها؛ فرأينا الجائعين والظامئين والمشردين من أبنائها وهم يحرمون من أقل حقوقهم في الحياة، فلا سدوا رمقهم، ولا أقاموا أودهم، ولا رووا ظمأهم أو شفاو غليلهم بعد شرب القذى الذي أكرهوا عليه، ولا مُكّنوا من مأوى آدمي يحميهم، ويزيل شعثهم، وينفض عنهم غبار التشرد الذي توسدوه؛ في حين أن أعداءهم الذين انطلقوا من سعرهم كالكلاب، واستأسدوا في الغاب، ومكروا مكر الذئب، وتراكضت أطماعهم فوق الرقاب قد تمكنوا من كل ذلك فأتخموا شبعاً من خيرات البلاد، وارتوتوا نهلاً وعلاً من مائه العذب الزلال.

وتاريخ الأمة في القرن السابق وما قبله خير شاهد على ذلك؛ فقد تنافست الدول الاستعمارية الأوروبية وغيرها من البلدان التي فيها أكثرية إسلامية؛ فقد استبدوا بها ونهبوا خيراتها عقوداً عديدة، وقد تمكن بعضها من التحرر، ومازال بعضها الآخر يزرح تحت وطأة الاحتلال،

(١١) حسين عرب، ديوان حسين عرب، ج٢، شركة مكة للطباعة والنشر، (بدون تاريخ)، ص ٤٦.

وأزعم أن الشاعر حسين عرب كان يقصد بالليل في نموذجه السابق فقر شعوب تلك البلدان التي عانت ما عانت من استبداد ذلك الاحتلال.

وهذا الاستعمار اتخذ أشكالا عدة" منها الاحتلال العسكري والهيمنة الاقتصادية عن طريق الشركات والقروض والاحتكار.. إلخ، واتخذ كذلك شكل الحماية، والانتداب والوصاية".<sup>(١٢)</sup>

وفي هذا النموذج أيضا تبدو الرمزية العربية الموروثة المتكئة على التلميح؛ غير أن كشف الرمز فيه لم يكن متاحا من القراءة الأولى كما كان في النموذج الأسبق، فالوصول إلى حقيقته هنا يحتاج إلى تكرار القراءة، وتأمل وتدبر مع البحث في القصيدة عن قرائن تؤكد تفسيره، وهذا ما تم بالفعل، وعلى الرغم من ذلك يبقى الرمز هنا منتميا إلى النوع العربي الموروث.

وفي قصيدة "سعال الليل" للشاعر حسن عبد الله القرشي نستخلص مظهرا جديدا من مظاهر معاناة الأمة؛ حيث يمكن تفسير لفظ الليل فيها بـ فقدان الحرية، يقول:

وتهتف بي نعاسك طال<sup>(١٣)</sup>

وهذا الليل يعصف بي

يؤج النار في جسدي

تعال تعال

.....

---

(١٢) د. تاج السر أحمد حران، حاضر العالم الإسلامي، إشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ٣٧.

(١٣) حسن عبد الله القرشي، ديوان: النغم الأزرق، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، يناير ١٩٦٦م، ص ٨٩ وما بعدها.



ويشملني ندى الصوت

سرى كشرارة الفجر

ولكني كعنترة

صبور لحظة الموت

أريد أعانق الشلال

في أوج انصبابه

أريد أزعرع الأغلال

أريد أعيش كالموج

أريد أشق كالملاح نهر الصمت

أريد أعيش في أحضان عاصفة

وفي زمجرة الرعد

أريد أهييم في موحش غابات

أريد أريد أنطلق

وحيدا في دثار الليل

تسبقني انفعالاتي

الأمة المعشوقة تنادي عاشقها عاتبة عليه نعاسه الطويل، وهجره إياها في هذا الليل العاصف الذي أضرم النار في جسدها، وتدعوه أن يقبل عليها ليخلصها مما تعاني، وبخاصة أنها تهيأت للقائه، ووفرت له كل المغريات<sup>(١٤)</sup> التي تقودهما إلى إتمام هذا اللقاء، ولا شك في أن مغريات هذا اللقاء مقصود بها توافر أسباب نهوض الأمة وتقديمها في جميع مناحي الحياة، ومن ثم إفادة أبنائها من هذا التقدم، ونفعهم بذاك النهوض، وتمتعهم بخيراته ونعيمه، كل هذه المغريات التي وردت على لسان الأمة المعشوقة انتشى لها الشاعر العاشق وسرى صوتها في نفسه سريان ضوء الفجر في عتمة الليل ليوقظه من سباته الطويل؛ فأقبل على أمته الحبيبة ليحقق اللقاء؛ ليأخذ بأسباب نهوضها وتقديمها فهمّ بها، وهمّت به لولا أن رأى برهان عجزه ماثلاً بين عينيه؛ فسرعان ما تذكر أنه فاقد حريته مع تمتعه بمقومات الأحرار كعنتر العبسي، ومن هنا راح ينفس عن رغباته الجامحة، وآماله المستعرة في أن ينطلق من رقه وعبوديته منتزعا حريته؛ معبرا عن ذلك بإرادة التوحد مع كل مظاهر الحركة والانطلاق؛ كمنانقة الشلال في قمة انصباباته، وزعزعة الأغلال، والعيش كالأمواج، وقهر الصمت واحتضان العاصفة، وغير ذلك مما ورد في النموذج.

(١٤) ومن هذه المغريات ما عددها في قوله:

فعندي الوجد، والمصباح في خمرٍ أضوائه

وعندي ذهلة الحاضر =

= جبان أنت إن لم تأت

دلو ناضب الماء!

تعال تعال

فقد عطرت أمسيتي

وصدري فيه أسرار

يبوح بما إذا جئت

و..... قد شكنا من ضمة المخزم

تعال فليس في حقلي

نجوم ليس من أضواء

تعال فليلنا قصة

وفرحة نشوة كبرى.

وعلى الرغم من تفسير لفظ الليل هنا بفقدان الحرية لا يمكن القطع بالبلد التي حدث فيها هذا الفقدان؛ فهذا ما لم يتضح في القصيدة كلها؛ لكن المؤكد أن ذلك كان يحدث في عدد غير قليل من البلدان.

والرمزية المستخدمة في هذا النموذج تمثل مستوى ثالثا من الرمزية العربية التي تعتمد على التلميح لا التصريح، وهو مستوى أعمق من نموذجي سعود الصاعدي، وحسين عرب السابقين من حيث احتوائه شيئا من الغموض.

### الدلالات الاجتماعية:

لا يمكن بحال من الأحوال أن تنفصل الحياة الاجتماعية عن نظيراتها الأخرى في أي مجتمع من المجتمعات؛ فهي بلا شك ذات علاقة ما بالحياة السياسية، والوطنية، والثقافية، والاقتصادية، وقد رأينا فيما مر كيف كانت الحياة السياسية وأخواتها بوساطة تعبير الشعراء عنها بلفظ الليل، ولا تختلف دلالات التعبير بالرمز في الحياة الاجتماعية كثيرا عن دلالات التعبير به في تلك الحيوانات من حيث سلبياتها أو إيجابياتها.

ومن الدلالات الاجتماعية عجز المجتمع عن الأخذ بأسباب النهضة الشاملة، ومن ذلك ما ورد في قصيدة "أنا والليل" للشاعر محمد حسن عواد، يقول:

يا ليل، ما أنت وهذا الغموض؟<sup>(١٥)</sup>

يا ليل هل تعرف سر الفيوض؟

يا ليل هل تدري حياة النهوض؟

يا ليل هل أنت بحب تهيم؟ يا ليل، لا. أنت الأصبم البهيم

---

(١٥) محمد حسن عواد، ديوان العواد، مطبعة نخضة مصر، القاهرة، ج١، طبعة أولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص١٢، ١٣.

فاصمت فإني في ظلام أسير

\* \* \*

لا تنحُ باللوم على كائن

لا صادق العزم ولا مائن

قد كبلت في حينه الحائن

أوقاته، والنجم فيه كليل      فضل في مجثمه كالعليل

عجزا وعيًّا فارث للعاجزين

يخاطب الشاعر مجتمعه سائلا إياه عن حقيقة حالته التي هو فيها يسائله عن هذه الرؤية الضبابية غير الواضحة عن مستقبله، وعن تقاعسه وعدم معرفته كيفية الانطلاق الهادر نحو مستقبل مشرق، وكذلك عن عدم درايته بحياة النهوض؛ كل تلك الأسئلة - بلا شك - هي أسئلة العارف لا الجاهل، ولذلك فجعنا بالحقيقة، وهي أن المجتمع كله - كما يرى - كرجل أصم سكّ آذانه عن سماع أصوات نداء النهضة، وكرجل سلب عقله؛ فلا يدري حقيقة ما ينبغي أن يكون عليه من نهضة وتقدم.

ولأن نهضة المجتمعات وتقدمها لا تتحقق إلا برغبة تلك المجتمعات في ذلك، والأخذ بأسبابها؛ راح ينتقد المجتمع، وفي الوقت ذاته يذكر أسباب عجزه عن القيام بذلك؛ فالتفت بخطابه إلى المتلقي ألا يتوجه باللوم على هذا المجتمع؛ لأنه - كما يرى - مجتمع ليس لديه من العزم الصادق ما يمكنه من الأخذ بأسباب النهضة والتقدم، وفي الوقت ذاته لا يمكن وصفه بالمين والادعاء؛ لأنه لا يملك بالفعل تلك الأسباب، فهو في ذاك الزمان كان مكبلا بالعديد من القيود الخارجة عن إرادته والتي تمكنه من تحقيق النهضة، ولذلك بدا جاثما عاجزا في مكانه كالعليل، حتى إنه لم يتمكن من التعبير عن رغبته وإرادته، ولذلك استحق الرثاء والبكاء على حاله.

قد يبدو كلام العواد هذا غريبا وعجيبا ومنافيا لحقيقة النهضة الشاملة التي شهدتها المملكة وما زالت تشهدها وتنعم بها حتى الآن - بحمد الله وفضله وحسن قيادة ملوكه - في كل أوجه الحياة، وهذه حقيقة لا ينكرها إلا جاحد؛ ولكن إذا عرفنا توقيت نشر هذه القصيدة زال هذا العجب، وتبددت تلك الغرابة؛ فالشاعر قد نشر قصيدته أول مرة في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمئة وألف من الهجرة (١٣٥٢هـ) في جريدة صوت الحجاز، ومعروف أن هذه السنة كانت السنة التالية مباشرة لضم جميع مناطق الجزيرة في كيان واحد هو المملكة العربية السعودية؛ إذ كان ذلك في سنة إحدى وخمسين وثلاثمئة وألف (١٣٥١هـ) وقد تم ذلك بعد عناء طويل من الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - وأولاده استمر عقودا؛ حتى ضم جميع مناطق المملكة، وهذا يعني أن المملكة في زمن إنشاء قصيدة العواد هذه كانت في أعقاب الانتهاء من حروب المناطق، وفي بدايات التفرغ للأخذ بأسباب النهضة؛ بل يرى البعض أن البدايات الحقيقية للنهضة لم تكن إلا في سنة خمس وخمسين وثلاثمئة وألف (١٣٥٥هـ) لأن هذا العام هو العام الذي فيه "تفرغ الملك عبد العزيز للإصلاح الإداري والاجتماعي، ولإنشاء المدارس الحديثة، وبعث البعث، وهذا التاريخ بداية التطور الاجتماعي والعمرائي والمادي للبلاد، بعد تدفق أنابيب النفط الذي أتاح للحكومة وجوها من البناء كثيرة متنوعة، وقلب حياة المجتمع وتقاليدته"<sup>(١٦)</sup> وهذا يعني أن العواد كان صادقا فيما قال نظرا لزمان كتابة قصيدته الذي لم تكن فيه البلاد مهياة تمام التهيئة للأخذ بأسباب النهضة الشاملة.

ومعروف أن العواد يعد في نظر نقاد المملكة ممثلا لمرحلة مهمة من مراحل التجديد، وأنه استمر بقوة ونشاط يواصل تجديده الشعري على المستويين: التطبيقي والتنظيري<sup>(١٧)</sup> كما يراه بعض النقاد من خارج المملكة كذلك؛ غير أن بعضهم يراه على المستوى التنظيري يوهم بغير موقفه على المستوى التطبيقي<sup>(١٨)</sup> وبالفعل إذا نظرنا إلى دعواته النقدية نجده مهاجما الشعر المقفى

(١٦) د. عبد الله الحامد، الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية، ص ٢٩.

(١٧) ينظر: المرجع السابق، ص ١٢٣.

(١٨) د. مصطفى إبراهيم حسين، أدباء سعوديون، دار الرفاعي للنشر والطبع والتوزيع، الرياض، طبعة أولى ١٤١٤هـ،

ص ٣٩٨.

ذا الشطرين هجوما شديدا، ومندفعاً بقوة لتأييد الشعر الحر، وإذا نظرنا في نتاجه الشعري لا نجد أثراً لما يدعو إليه؛ حيث نجده مجاوراً بين الشكلين معاً.

كما أننا إذا نظرنا إلى الرمز في النموذج الذي معنا نجده مستخدماً الرمزية العربية الموروثة والمعتمدة على التورية والتلميح التي تؤدي في النهاية، وبعد قليل من النظر والتأمل إلى كشف الرمز، وهذا ما حدث بالفعل، وكان من المتوقع من شاعر بحجم العواد في ثقافته، ودعوته النقدية التجديدية، وإطلاعه على كثير من التوجهات النقدية والشعرية الجديدة عربياً، أو أجنبياً بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق الترجمات، وتبنيه دعوات العقاد التجديدية، أقول: كان من المتوقع أن يستخدم - على الأقل - الرمزية الشبيهة بالرمزية الغربية؛ لكن هكذا كان، وكي لا أغمط الشاعر حقه أقول: ربما لجأ إلى ذلك في نماذج رمزية أخرى في غير موضوعنا.

ومن الدلالات الاجتماعية التي يمكن استنتاجها من تأويل لفظ الليل جنوم الفساد واستمراره، وهذا ما ألمح إليه الشاعر يحيى الألمعي في قصيدته "يا ليل" التي يقول فيها مخاطباً الليل:

وكذلك الولهان يسهر هائماً      ويراك عن صبح الفلاح ثقيلاً<sup>(١٩)</sup>  
وبيت يقضي ليله في حرقة      وعذابه يا ليل ليس قليلاً  
ويزيده منك التطاول آهة      فتراه منتحبا يشير عويلاً  
يا ليل إنك لو شعرت بحاله      لسبرت أغوار الشقاء طويلاً  
هلا رحمت بكاءه وعويله      فطويت جنحك بكرة وأصيلاً  
فارفع عن الإصباح أستار الدجى      إن كنت في ركب الزمان دليلاً

يخاطب الشاعر الليل فيخبره عن ذلك الولهان المسهد؛ يخبره عن الظمأ المستبد بالشعوب المغلوبة على أمرها، وعن هيامهم المتحرق إلى تسارع زوال ذلك الظمأ الذي تسبب فيه، وذهابه إلى غير رجعة؛ مصطحباً معه ما خلفه من فساد وإفساد، وتفشي مظاهر الشرور في

(١٩) يحيى إبراهيم الألمعي، ديوان: عبير من عسير، مطابع الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، ص ٢٣، ٢٤.

جميع مناحي الحياة؛ ليشرق فجر الصلاح والإصلاح، أو الفوز بما يغتبط به وفيه صلاح الحال - على ما فسر به معنى الفلاح<sup>(٢٠)</sup> - وليزيغ صبح هذا الفلاح من فوز ونجاة وبقاء في النعيم والخير - على ما فسر بذلك معنى الفلاح أيضا<sup>(٢١)</sup> - ويخبره كذلك بمبيت تلك الشعوب الليلي العديدة بطيئة الخطى متحرقة ومعذبة عذابا طويلا من معاناة ذلك الظمأ إلى الصلاح والإصلاح الذي لو شعر به يوما ما؛ بل لحظة ما لعانى هو الآخر من ذلك معاناة يطول أمدها مثلما تعاني تلك الشعوب، ولطال شقاؤه دهرا مديدا، ولذلك يحثه ويحضه؛ بل يستعطفه أن يرحمهم من هذا العذاب، وذلك بأن يطوي جناحه عنهم، ويرفع أستاره عن معاناتهم كي يرحل بعيدا إلى غير رجعة.

ومما يميز هذا النموذج، ومعظم قصائد ديوان هذا الشاعر حرصه الشديد على إثبات تواريخ كتابة القصائد؛ فالنموذج هذا مؤرخ بتاريخ ١٨/٦/١٣٧٦هـ، وبذلك نجزم أن ذلك الفساد الذي قصده الشاعر كان منتشرا في تلك الحقبة المشار إليها، وعلى الرغم من هذا لا يمكن أن نستثني عصرا ما، أو قطرا ما من الفساد والمفسدين؛ فالفساد منتشر في كل زمان وفي كل مكان، كما أن المفسدين متغلغلون في جميع المجتمعات سواء منها القديمة أو المعاصرة، وكذلك النامية أو المتقدمة.

ويكشف الشاعر عن أن مقصده من لفظ الليل هو الليل الرمزي لا الحقيقي في قوله مخاطبا إياه: "فطويت جنحك بكرة وأصيلا" إذ إن الليل الحقيقي لا يكون في البكور، ولا يكون في الآصال؛ فالمعروف أن البكور والآصال لا يكونان إلا في النهار، وهذا أقوى دليل على رمزية الليل، ومن هنا يمكن الجزم بأن الرمز في النموذج السابق من نوع الرمزية العربية المتكئة على التلميح، لا الغموض والإبهام.

ومن الدلالات الاجتماعية للفظ الليل ما يمكن تأويله بـ برافضي التغيير والتجديد والتفاعل مع معطيات العصر مع الاحتفاظ بثوابت المجتمع وهويته، نرى ذلك في قصيدة "نبض من الليل" للشاعر عبد الله السفيناني، يقول:

(٢٠) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، طبعة أولى ١٤١٤هـ، مادة (فلج).

(٢١) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩م، مادة (فلج).

أيها الليل توقف...!!<sup>(٢٢)</sup>

قاوم الأشباح والأمواج في بحر الخيال

لا ترحل...!!

قاوم القادم من خلف الجبال

يحمل البحر والأسماك .. والشيء المحال

تعزف الجن على أوتار "زرقاء اليمامة"

لحنها الثائر... في وجه السامة

يخاطب الشاعر ذلك الليل خطاب السخرية والتحدي؛ يخاطب أولئك الكارهين تغيير المجتمع بالتجديد والتحول إلى الأفضل؛ الراضين مظاهر التقدم والارتقاء؛ الراغبين في البقاء

---

(٢٢) الشاعر عبدالله السفياي. الموسوعة العالمية للشعر العربي أدب، قصيدة نبض من الليل ، <http://www.adab.com> عبدالله بن رفود السفياي، من مواليد ١٣٩٥هـ بالطائف، وفيها تلقى تعليمه العام وفي جامعة أم القرى بمكة المكرمة واصل تعليمه الجامعي في تخصص البلاغة والنقد والماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، حصل الدكتوراه في التربية الإسلامية والمقارنة من الجامعة الإسلامية، يعمل أستاذا مساعدا لأصول التربية بجامعة المجمعة، شاعر سعودي وله مشاركات شعرية في السعودية وخارجها، له ديوان شعري مطبوع بعنوان، وأموت يا أمي وفي صدري كلام، وكثير من نصوصه مبثوثة على شبكة الإنترنت، شارك بعدد من المقالات في مجال النقد والأدب في الصحف السعودية والخليجية، وهو مدير الموسوعة العالمية للأدب العربي أدب، ورئيس تحرير مجلة الساهر الإلكترونية، له عدد من الكتب المطبوعة، ضوابط في النقد دراسة في عقل ابن تيمية النقدي- الخطاب الوعظي دراسة ناقدة- حجاب الرؤية دراسة في العوامل المؤثرة على الخطاب الفقهي- سور الطين تربية الإرادة في الفكر الإسلامي، ولديه بعض البحوث المعدة للنشر، ألقى عددا من المحاضرات والندوات في الجامعات والأندية الأدبية والقنوات الفضائية.

المصدر: نبذة عن عبدالله السفياي بقلم الشاعر عبر رسالة للباحثة بالبريد الالكتروني بتاريخ ١٦/٢/٢٠١٦م.



على كل قديم؛ دون النظر إلى ركب التحضر، ودون التأثير بإيجابيات المعاصرة من حولهم؛ يخاطب السابحين ضد التيار؛ غافلين أو متغافلين عن أن الموج يجرف من يجدف ضد هذا التيار، مع العلم بأن الرغبة في ذلك التغيير لا تعني الانفصال عن هوية المجتمع وثوابته الأصيلة؛ بقدر ما تعني الإفادة المثلى من مظاهر التحضر والمعاصرة من حولنا، وبخاصة ما لا يتعارض منها مع أعرافنا وتقاليدينا مع التمسك في الوقت ذاته بهذه الأعراف والتقاليد، وهذا ما يؤكد الشاعر في آخر سطرين من القصيدة.

يطلب الشاعر ساخرا ومتحديا من الليل؛ من أولئك الكارهين التوقف وعدم الرحيل؛ يطلب أن يقاوموا أمواج تلك الرغبات العارمة في ذلك التحول؛ الذي يبدو في ظاهره شيئا كالخيال؛ كالذي يحمل البحر والأسماك؛ إنه محال؛ فمن ذا الذي يحمل البحر وما به من أسماك؟! إن الرغبة في ذلك التغيير هي بمثابة اللحن النائر الذي تعزفه الجن على أوتار زرقاء اليمامة ضد الملاله والسامة اللتين يعانیهما الكثير من أفراد المجتمع، واللحن النائر الذي تعزفه الجن لا يعني إلا اختراق المألوف، والرغبة في التغيير، والاستعانة بشخصية "زرقاء اليمامة" لا يعني إلا تأكيد الشاعر على أنه يرى ما لا يراه الآخرون، ومنهم أولئك الكارهون الراضون التغيير إلى الأفضل؛ فزرقاء اليمامة - كما هو معروف عنها - كانت تتمتع بتلك الصفة فهي "امرأة كانت باليمامة تبصر الشعرة البيضاء في اللبن، وتنظر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام..."<sup>(٢٣)</sup>

ويواصل الشاعر خطابه الساخر المتحددي أولئك الكارهين التغيير يقول:

أيها الليل توقف !!..

تفرس في وجوه القادمين..

في ثياب الصوف.. في حقول الياسمين

تفرس...!! هل ترى..

---

(٢٣) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ج/٣، ص ١٠.

سيف "عقبى الصابرين"!!؟؟..

..هل ترى ذاك الغريب..؟؟!!

يرتدي الشملة..!! فوق جنبه أعباء السنين

يرسم التاريخ للعهد القريب..

كرياح الصيف .. كالصحراء..

كالصبر في قلب الأديب

يوصل خطابه الساخر المتحدي؛ فيكرر طلبه بالتوقف وعدم الرحيل للنظر في وجوه القادمين؛ كأنه يقول له: إن التغيير قادم قادم لا محالة؛ بل هو قد حدث بالفعل؛ فالتغيير الحادث يتمثل في أولئك القادمين الذين يمثلون حقيقة للعيان؛ فهاهم أولاء بأجسادهم ووجوههم التي ينبغي أن يتفرد فيها أولئك الكارهون، ويتدارك الشاعر ببيان حقيقة ذلك التغيير القائم على التوازن بين القيم الأصيلة للمجتمع وإيجابيات الوافد الجديد؛ ذلك التوازن المتمثل في الجمع بين تلك الثنائيات التي يمثل أحد أطرافها القيم القديمة، ويمثل طرفها الآخر القيم الجديدة؛ كـ"السيف" الذي يعني الظفر بالتغيير وهو مراد الصابرين، و"عقبى الصابرين" والمتمثل كذلك في الجمع بين "ثياب الصوف" و"حقول الياسمين" وفي الجمع أيضا بين ذاك القادم الذي يبدو غريبا وارتدائه الشملة - الزي الموروث - حاملا فوق جنبه أعباء السنين الخوالي؛ وفي الجمع بين رسم تاريخ الأمة والمستقبل القريب، و بين "رياح الصيف" و"الصحراء"، وبين "الصبر في قلب الأديب" و"آماله" التي حذفها وتفهم ضمنا تلك التي يلمح تحقيقها عن قريب وصبر من أجلها.

ويختتم خطابه الساخر المتحدي في نهاية القصيدة بقوله:

أيها الليل توقف...!!

جندك الأحرار ما ناموا.. على نسج الحرير..

ذلك الخفاش .. والبوم والتعلب ...

والفأر ... وقطاع الطريق!!..

كلهم يكره القادم عبر أنغام الأثير

أيها الليل .. وداعا..

.. واللقاء غدا...

عند شاطئنا الجديد...

وعند مرسانا القديم!!..

هكذا يعاود تكرار طلبه الموجه لليل بالتوقف في مفتاح المقطع، ولكن طلبه التوقف هذه المرة ليس لمقاومة القادم، ولا للنظر إليه، ولكن ليخبره بحقيقة أجناده ومعاونه ومؤيديه من الرافضين التغيير؛ الكارهين التقدم؛ أولئك لم يرتاحوا أبدا، لم يغمض لهم جفن؛ أولئك الذين يتصفون بصفات مذمومة تتجافى عن الصفات الإنسانية المحمودة، والصفات الفطرية الطبيعية؛ فمنهم الخفافيش والبوم والتعالب والفتران وقطاع الطرق، ثم يودع الليل في النهاية، ويعدده في الوقت ذاته بالنصر في الغد القريب؛ بالظفر بالمراد؛ بتحقيق التغيير "عند شاطئنا الجديد..". الذي عنده نصل للغاية؛ مع الاحتفاظ بقيمتنا الأصيلة "وعند مرسانا القديم..". تلك المرسى التي لا يمكن تجاوزها في جميع الأحوال.

وواضح أن الشاعر في قصيدته السابقة استخدم الرمزية الشبيهة بالرمزية الغريبة، وعلى وجه التحديد استخدم رمزية الموضوع ذات المضامين المتعددة والمتفاوتة في درجة إبهامها وغموضها، وكان أكثرها من النوع الشفيف الذي يمكن الوصول إلى دلالاته.

## الدلالات النفسية:

قد يقال: إن الدلالات النفسية لا تنفصل عن الدلالات الذاتية التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً، ولذا يجب إدراجها معها، والحق أن ذلك صحيح بالنظر إلى هاتين الدالتين نظرة عامة من حيث ذاتية التجربة الواردة في إطارها أو غيريتها؛ لكن بالنظر إليهما نظرة خاصة تنطلق مما توافر لديّ من نماذج شعرية في هاتين الدالتين يختلف الأمر؛ فللدلالات النفسية في هذه النماذج خصوصية تحتم على الباحثة أن تفرد كلا منهما بحديث خاص؛ حيث تبين لي أن الدلالات النفسية تنبعث من سبب نفسي له علاقة وثيقة بطبيعة التكوين النفسي للشاعر؛ الذي يقترب في بعض الأحيان من المرض النفسي، ويقترب في أحيان أخرى من النزوع النفسي الدائم إلى دنيا المثال، كما يمتزج هذا التكوين النفسي في بعض الحالات بالتدخل الفكري وإعمال العقل؛ وكل ذلك في معظمه لا ينطلق من تجارب حقيقية مر بها الشاعر؛ بقدر ما ينطلق من تكوينه النفسي، أو ميله إلى توجه فكري يعتنقه؛ أما الدلالات الذاتية فكلها تنطلق من تجارب ذاتية عاناها كل شاعر على حدة أو مر بها على أرض الواقع، ومن هنا يمكن القول بأن بين الدلالات النفسية والدلالات الذاتية علاقة عموم من جهة وخصوص من جهة أخرى؛ بمعنى أن كل تجربة نفسية تعد تجربة ذاتية من حيث الغيرية والذاتية، وفي الوقت ذاته ليست كل تجربة ذاتية تعد تجربة نفسية من حيث واقعية التجربة من عدمها، ولهذا الخصوصية كان الفصل بينهما.

ونلتقي في هذا النوع من الدلالات مع دالتين: أولاهما للشاعر سعد البواردي، وأخرهما للشاعر حسين سرحان؛ أما أولاهما فهي دلالة الواقع النفسي الغامض والمخيف، ويتمثل ذلك في قوله:

أهاب الليل لا أدري<sup>(٢٤)</sup>  
أهاب الليل في الآفاق  
أهاب الليل رغم البدر ..  
والسمار .. والعشاق  
ورغم الصمت .. رغم النج  
م رغم وميضه المشتاق  
أهاب الليل .. لا أدري  
لأنني أعشق الإشراق

يهاب الشاعر واقعه النفسي الغامض والمخيف المتمثل في ذلك الليل ويحاول الهروب منه؛ على الرغم من توافر أسباب الاطمئنان والاستقرار؛ فالواقع وإن كان غامضا ومخيفا - كما يبدو للشاعر- فهناك دواعي ما يبدد ذلك الخوف وتلك الهيبة في نفس الشاعر؛ هناك البدر بنوره، والنجم بوميضه وهما كفيلا بتبديد ظلمته، وهناك السمار والعشاق الكفيلا أيضا بتبديد وحشته وإيناس وحدته، كما أن الصمت هناك الذي يضمن له الهدوء الحسي والنفسي؛ لكنها نفس الشاعر التي لا تأبه بكل ذلك لرغبتها الجامحة في الهرب من ذلك الواقع، أو القضاء عليه من جذوره إلى غير رجعة؛ لأنه مهما توافرت أسباب تبديد الخوف ودعم الاستقرار النفسي؛ سيبقى في نفسه في النهاية ليلا غامضا مخيفا، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يتساوى ذلك في نفسه مع الإشراق الذي يعيشه بما يتصف به من الوضوح، وبما يبثه في النفوس من الأمان والاستقرار.

وقد يفسر ذلك بمحاولة الشاعر التخلص من الواقع المؤلم ككثير من شعراء جيله؛ إذ "يحاول الهروب من حالة إحساسه الحاد بالواقع؛ واقعه النفسي الذي يمجج بألوان الصراع، وهو

---

(٢٤) سعد البواردي، ديوان: ربايعاتي؛ دار الإشعاع، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ص ٩٩، ١٠٠.

أدنى إلى التخلص منه إلى الهرب<sup>(٢٥)</sup> كما قد يفسر ذلك بما يشير إلى رغبة الشاعر في تحقيق عالم مثالي متكامل لا يعتوره أي نقص، أو يتطرق إليه تشويه.

والرمزية التي لجأ إليها الشاعر في هذا النموذج هي الرمزية الموروثة المعروفة برمزية التورية والتلميح، وقد ساعد على تفسير الدلالة آخر لفظ في النموذج وهو لفظ "الإشراق" ويعني الوضوح، وما يستلزمه من استقرار وطمأنينة، وذلك هو ما يرتضيه الشاعر في مقابلة الليل الغامض والمخيف الذي يرفضه.

وأما أخراهما فدلالة استمرار المعاناة المفضية إلى اليأس والتشاؤم ونرى ذلك في قصيدة "الليل" للشاعر حسين سرحان التي يقول فيها:

يقولون: هذا الليل يسودّ لونه  
ألوفّ من الأقمار لا تذهب الدجى  
فلا الصبح مرجوٌّ، وإن حان حينه  
ليالٍ على الدنيا توالٍ .. كأنها  
فلا تنخدعُ .. لو أشرقت ففي حديدٍ  
وهل في الليالي أبيض اللون ناصع<sup>(٢٦)</sup>؟  
إذا وقعت منه علينا الوقائع  
ولا طالع من كوكب سنطالع  
رماح عوالٍ، أو سيف قواطع  
ولو عمرت بالقوم فهي بلاقع

يؤيد الشاعر ما يتردد على ألسنة الناس من أن الليل يزداد سواده؛ فينفي أن يكون فيه لون أبيض ناصع، وذلك عن طريق سؤاله الإنكاري، ويؤكد ذلك بأن هناك ألوفا من دواعي ذهاب ذلك السواد وتلك الظلمة، وهي تلك الأقمار المنتشرة هنا وهناك، ولأن القمر الحقيقي قمر واحد؛ فمما لا شك فيه أن الشاعر يقصد أقمارا مجازية تتمثل في كل المظاهر الحسية والمعنوية التي من شأنها أن تبدد ظلام ذلك الليل؛ لكن هيهات هيهات!! ومن هنا تمكن اليأس والتشاؤم من نفس الشاعر حتى رأى المستقبل ظلاما في ظلام؛ فلا صبح يرجوه، ولا كوكب ينتظر طلوعه، وتبقى الليالي تتابع وتتكالب على إصابته برماح ظلامها، وتسرق عمره بسيف تناليها دون أن تبدد

(٢٥) د. عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، الفجالة، القاهرة، الطبعة الرابعة (د.ت)، ص ٣٧.

(٢٦) حسين سرحان، ديوان الطائر الغريب، نادي الطائف الأدبي، الطائف، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ، ص ١٥.

ظلمتها، ويؤكد بأسه ونظرة المتشائمة تلك بأنه لو حدث - جدلا - أي تغيير قد يبدو منه إشراق في الأفق؛ فإنما هو - كما يرى - خداع وظلام شديد، وإن بدت مظاهر للخصب والنماء فإنما هو في حقيقته جذب وقفر.

ولا تخرج الرمزية المستخدمة في النموذج السابق عن كونها رمزية شفافة تلمح ولا تصرح، وتبين ولا تُخفي، وساعد على ذلك استخدام الشاعر لفظ "الأقمار"، وهو استخدام مجازي؛ لأنه - كما سبقت الإشارة - لا يوجد سوى قمر واحد حقيقي، وهذا يؤكد أن الليل المستخدم الذي من المفروض أن تبدده تلك الأقمار هو ليل مجازي أيضا، وقد استخدمه استخداما رمزيا بمعنى استمرار اليأس والتشاؤم على نحو ما ذكرنا.

### الدلالات الذاتية:

هناك من الشعراء من يعبر عن معاناة فئات المجتمع بكافة من خلال التعبير المباشر عنها، أو بالتعبير غير المباشر بوساطة تعبيره عن معاناته الشخصية التي تتضمن - في الوقت ذاته - معاناة كافة أفراد المجتمع؛ إذا ينفعل هذا الشاعر بما ينفعلون، ويتأثر بما يتأثرون به من الأسباب التي أدت إلى ذلك بوصفه أحد أفراد هذا المجتمع، ومن هنا يمكن تصنيف تجربة مثل هذا الشاعر في التجارب العامة التي يهتم بها الجميع، وهذا ما تم في قصائد الشعراء سألقة الذكر في جميع الدلالات السابقة باستثناء الدلالات النفسية.

وهناك كذلك من الشعراء من يهتم بالتعبير عن معاناته الذاتية فقط؛ دون أدنى تلميح أو تصريح إلى معاناة غيره، ومن هنا يمكن تصنيف مثل هذه التجربة في التجارب الذاتية التي تخص الشاعر فقط دون غيره؛ إلا أن هذا التعبير الذاتي المحض يمكن أن يكون صورة عاكسة لمعاناة الآخرين على الرغم من عدم تصريح الشاعر بذلك أو تلميحه؛ فقد يرى الآخرون في تجربته هذه نسخة من معاناتهم، وبخاصة إذا كانت هذه التجربة من نوعية تجارب الحب، والهجر، وانتظار تحقيق الأحلام والآمال، وغير ذلك من التجارب الوجدانية والإنسانية المشتركة بين كل البشر في

كل زمان ومكان ومن هنا يمكن تحويل مثل هذه التجربة إلى التجارب العامة مع الاحتفاظ بخصوصيتها الذاتية.

ونقف في هذا الجانب الذاتي مع ثلاث دلالات للفظ الليل هي: دلالة عدم تحقق الآمال والأحلام في قصيدة "أسائل الليل" للشاعرة مها العتيبي، ودلالة معاناة هجر الحبيب في إحدى قصائد الشاعر عبد السلام هاشم حافظ التي تحمل رقم ١٥ من ديوانه "عودة الفيضان" ودلالة الإشارة إلى شخص بعينه تخفياً وهروباً من الرقابة على المنشورات بغرض المهاجة في نموذج من قصائد المهاجة بين الشاعرين: محمد حسن عواد، وحمزة شحاتة.

ومما لا شك فيه أن الدلالات الذاتية لرمز الليل في الشعر السعودي لا تتوقف عند تلك الدلالات الثلاث فقط؛ فلدى الشعراء السعوديين دلالات ذاتية أخرى كثيرة<sup>(٢٧)</sup> لكننا سنكتفي بهذه الدلالات الثلاث فقط في هذا المبحث؛ لأن المبحث ليس معنياً باستقصاء جميع الدلالات الرمزية وحصرها - لا في هذا المبحث، ولا في غيره من المباحث الأخرى - بقدر ما هو معنيّ بإثبات وجود الدلالة ذاتها بوساطة التمثيل لها بأقل قدر ممكن من النماذج الشعرية. أما أولى الدلالات الذاتية لرمز الليل فهي - كما سبقت الإشارة - دلالة عدم تحقق الآمال والأحلام، وهي ما وردت في قول الشاعرة مها العتيبي من قصيدتها "أسائل الليل":

---

(٢٧) من ذلك دلالة: حلم الشباب العنيد عند الشاعر حمزة شحاتة، ودلالة: تتابع الفواجع عند الشاعر محمد حسن فقي، ينظر على التوالي:

ديوان حمزة شحاتة (الأعمال الكاملة) دار الأصفهاني، جدة، ط أولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ٤٧.  
ديوان: قدر ورجل، محمد حسن فقي، الدار السعودية للنشر، ط أولى ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م، ص ٢٦٩.



فبت من لوعة الحرمان في ألم الشوق يعرفني والدمع مدراراً<sup>(٢٨)</sup>  
أسائل الليل عن فجر كلفت به نأى به الحظ أم غالته أقدار  
وهداة الليل تقصيني إلى وجعي وحدي أضم الصدى، والآه قيثار  
كأنني وتر سالت مواجعه لحنا وخلف بكاء اللحن تذكّار  
يمتصني الصمت، والأحزان تغزّلي في غيب الليل، سور الصبر ينهار

كانت الشاعرة تمتلك آمالا وأحلاما ترغب في تحقيقها، ولكنها أخفقت في ذلك كل الإخفاق، ولم تفصح الشاعرة عن حقيقة تلك الآمال والأحلام وقدرها؛ لكنها في النهاية تبقى آمالا وأحلاما ذاتية تخصصها؛ لأنها لو كانت عامة لأفصحت عنها؛ لكونها تخص الآخرين، ويكون من العبث آنذ عدم الإفصاح عنها، ويبدو أنها كانت آمالا وأحلاما كبيرا - على الأقل بالنسبة لها - بدليل الأثر النفسي الذي بدا عليها نتيجة إخفاقها في عدم تحقيقها، وهو ذلك الحزن الشديد الذي اجتاح أعماق أعماقها.

وتخاطب الشاعرة الليل الذي يعني عدم تحقق آمالها وأحلامها؛ فتسائله عن عدم بزوغ الفجر؛ قاصدة به وقت تحقق تلك الآمال والأحلام؛ ذلك الفجر الذي تعلقت به إلى حد الشغف والولع، تسائله عن أسباب عدم بزوغه؛ فيا ترى هل يعود ذلك إلى حظها العاثر؟ أم إلى اغتيال الأقدار إياه؟ ثم تصف أثر ذلك على نفسها؛ فها هو ذا الأمل المغتال، أو الحلم المفقود يتراءى لها بسكونه وهدايته ليقصيه وحيدة من عالمه الجميل الممتع الذي انتظرت كثيرا إلى عالم من الأسقام والأوجاع؛ تجتّر فيه ألحان التذكار المحزنة، وآهات الشجن المؤلمة، وتتكالب عليها من

---

(٢٨) مها محمد العتيبي، موقع بوابة الشعراء من ديوان عرائس الحب، <http://www.poetsgate.com>

شاعرة سعودية ، حاصلة على الدكتوراه في المناهج وطرق تدريس العلوم - صدر لها ثلاث مجموعات شعرية : نقوش على مرايا الذاكرة ٢٠٠٩ ، عرائس الحب - بيروت ٢٠١٠ - عن الدار العربية للعلوم ناشرون ، لوعة الطين ٢٠١٤ عن جمبرا للنشر والتوزيع ( الإمارات ) - لها مشاركات شعرية بارزة وبدأت بنشر قصائدها عبر العديد من الصحف المحلية والعربية منذ

عام ١٩٩٧م، موقع الشاعرة على الفيس بوك: <https://ar-ar.facebook.com>

<https://www.goodreads.com/book/show/22318261>

كل صوب تبعات ذلك الفقد والغياب من الأسقام والأوجاع وهي على هذه الوحدة وتلك الوحشة؛ لا أنيس يخفف عنها، ولا رفيق يواسيها ويصبرها، وتصل تلك التبعات ذروتها حتى أطبق اليأس على روحها، ومن ثم فقدت صبرها، وتحطمت على صخرة الواقع آمالها وأحلامها.

ومن وضوح دلالة الرمز الذي عبرت به الشاعرة، وساعدها في ذلك الوضوح بعض الألفاظ التي دارت في فلك الدلالة المقصودة هنا كالحرمان والفجر والصبر.. أقول: من وضوح ذلك يمكن القول بأن الرمز هنا هو من النوع العربي المعتمد على التورية والتلميح.

وأما ثنائية الدلالات الذاتية فهي معاناة هجر الحبيب<sup>(٢٩)</sup> التي تتضح في قول الشاعر عبد السلام هاشم حافظ:

قمري تُرى من غَيْبِكَ وطوأكَ عن ليلى الطويل<sup>(٣٠)</sup>  
أملي ترى من ضللكَ فبُعِدَتَ عن دربي الظليل

فَعَرَّتُهُ وَحَشَّتُهُ وَجَرَّحَ خَطُوبِيَا

أتراكَ جئتِ تجددينَ عهدَ الصبا وشبايا  
والعمر يدنو الأربعينَ والثلجَ قَبْلَ رأسيا<sup>(٣١)</sup>

ليعودَ بي حبي لليل عذايبا  
ويمزقُ الوجدَ الحبيسَ ضلوعيا

يخاطب الشاعر في المقطع الأول حبيبه الجميل شبيه القمر؛ مسائلا إياه عن ذلك الآثم الذي كان سببا في غيابه عنه، ونحاه عن ليله الطويل، كما يسأله عن ذلك المتجني الذي تسبب

(٢٩) وكذلك قصيدة "الليل" للشاعر أسامة عبدالرحمن في ديوانه (شمعة ظمأي)، الكتاب العربي السعودي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٢م، ص ١١٩.

(٣٠) عبد السلام هاشم حافظ، ديوان: عودة الفيضان، مطبعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ص ٨٧: ٨٩.

(٣١) (رأسيا) وردت هكذا بالهمزة، وفي هذا عيب من عيوب القافية، وهو ما يعرف بسناد التأسيس، ولتصحيح هذا يمكن تسهيل الهمزة.

أيضا في تضليله وإبعاده عن دربه الوريث الضليل؛ حتى غدا ذلك الدرب - بدون حبيبه - قفرا موحشا، وجدبا ممحلا، وصحراء قاحلة، كما غدت خطاه مشحنة بالآلام والجراح؛ فقبَّط عن مواصلة المسير إلى مستقبله المشرق السعيد الذي كان يحلم به، ويسعى لتحقيقه زمن تواصله مع محبوبه الغائب.

ويعود الشاعر إلى تساؤل محبوبته في المقطع الآخر - بعد أن عدل من خطاب المذكر إلى خطاب المؤنث - وبعد أن افترض - خيالا - أنها عادت إلى سابق عهدها من الوصال فجاءته؛ إذ يسائلها عن الغاية من عودتها ومجيئها إليه؛ فيا ترى أجاأت لتجدد عهد صباه وشبابه، وبخاصة أن عمره قد اقترب من سن الأربعين، وبدأت آثار تقدم العمر تظهر عليه متمثلة في ذلك الشيب الذي بدا واضحا في شعر رأسه؟ أم يا ترى جاءت إليه لتعيده إلى معاناة ليل عذابه، وآلام وجده الحبيس في ضلوعه؛ معاناة الهجر، وألم الوحشة، وعذاب الفراق؟ إنها معاناة يعشقها ويتلذذ بها، والدليل على ذلك أن سؤاله هنا عن الغاية من مجيئها ليس سؤال الجاهل؛ بل هو سؤال العارف الذي يحثها ويحضها على العودة إلى سابق عهدها، والرجوع إليه؛ حتى ولو كان من نتائج ذلك عودته إلى تلك المعاناة بهجره مرة أخرى؛ لأن بذلك ستذكي عواطفه، وتلهب مشاعره، وقد يبدو تعشق المعاناة والتلذذ بها أمرا غريبا، والحق أن ليس كذلك؛ فالمعاناة - أيا كان سببها - هي نوع من كفاح المرء - بصفة عامة - للوصول إلى غاياته وأهدافه شريطة ألا يتسرب اليأس في نفس صاحب المعاناة، كما أنها بالنسبة للشاعر - بصفة خاصة - تعد مثيرا من مثيرات الإبداع الذي يتلذذ به" فعندما تنتهب نفس الشاعر الآلام يجد عوضا عنها تلك اللذة التي يستمتع بها وهو في نشوة الوحي.. أي أن المعاناة كانت السبيل إلى الوحي، إلى الإبداع، وكان الإبداع وسيلة لإخضاع تلك الآلام والتلذذ بها"<sup>(٣٢)</sup> وبذلك يعد هذا التلذذ حافزا إلى الكتابة.

ولنا أن نفس لفظ الليل في المقطع الأول بالليل الحقيقي، أو الليل الرمزي؛ فتنسيبه بالمعنى الحقيقي على أنه الزمن الممتد المقابل للنهار؛ ذلك الزمن الذي يخلو فيه الشاعر لنفسه،

(٣٢) د. عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ص ٢١، ٢٢.

ويتذكر تجربته المريرة مع محبوبته، وأما تفسيره بالمعنى الرمزي؛ فهو تلك المعاناة الطويلة التي نتجت عن هجران المحبوب وألم فراقه.

أما لفظ الليل في المقطع الآخر (ليل عذابيا) فلا أرى له تفسيراً إلا بالمعنى الرمزي، وهو معاناة الشاعر عذاب الهجران، ووحشة الفراق؛ فليس هناك على وجه الحقيقة ليل من العذاب.

ونوعية الرمز في هذا النموذج هي ذاتها نوعية الرمز في النموذج الذي سبقه؛ أعني الرمزية العربية الموروثة التي تشف عن المضمون، ولا تصرح به، أو ما يطلق عليه رمزية التورية والتلميح.

وتبقى دلالة الإشارة إلى شخص بعينه تخفياً وهروباً من الرقابة على المنشورات بغرض المهاجاة، وهي - كما ذكرنا - عند الشاعرين محمد حسن عواد، وحمزة شحاتة، ومن ذلك ما ورد في قصيدة "هجو الليل" للشاعر محمد حسن عواد، يقول فيها:

يا مخيف الورى بهول الدجى الحا	لك، إذ يغمر الثرى والسماء <sup>(٣٣)</sup>
ومثيرا لواعج السهد تنها	لُ على الساهدين، قُوتلت داء!
إن أقوى نكاية لك نُزجي	مشرق الفجر باهرا وضاء
إذ يوافيك هاجما لا يبالي	شبحا منك يستلذ الخفاء
مُغرقا بالضياء عَسْكَرَكَ الأَسد	ودّ في "لا نهاية" سوداء
ومثيرا عليك من وهج الصب	ح جنودا أعزّة أقوياء
حسيها أنها جنود "أبولو ن"	وإنّ اقتحامها قد أساء
إيه يا ليل! أنت كلكل هذا الدّ	هر تدني الداء العياء

القصيدة طويلة بلغت أبياتها اثنين وأربعين بيتاً؛ كلها في مهاجمة رفيق دربه وزميل دراسته في مدرسة الفلاح الشاعر حمزة شحاتة الذي كان لون بشرته يميل إلى السواد، وفي هذا النموذج يهاجمه؛ فيصفه بمخيف الخلق لما فيه من ظلمة داجية تعم الأرض والسماء، ولإثارته تباريح

(٣٣) جريدة صوت الحجاز في يوم الثلاثاء ٢٧/١١/١٣٥٥ هـ - ٩/٢/١٩٣٧ م.

السهد في نفوس الساهدين، ثم يتوعده بالنكاية منه بلا مبالاة أو خوف؛ تلك النكاية المتمثلة في تبديد ظلمته بإزجاء الفجر الباهر الوضاء عليه، كما يتوعد كذلك أنصاره من الشعراء بمهاجمتهم (عسكريك الأسود) ، وتبديد ظلامهم بوساطة أنصاره أيضا من الشعراء (جنود "أبولون")<sup>(٣٤)</sup>، وأخيرا يصفه بأنه في صدارة هذا الدهر إذناءً للأمراض والعلل التي لا دواء لها، ولا أمل في البرء منها.

ولا يوجد ليل حقيقي تجتمع له تلك الصفات التي ذكرها الشاعر؛ فقد يخيف الليل الحقيقي بعض الورى - لا كل الورى - بظلامه الحالك، وقد يشير الليل الحقيقي لواعج السهد في نفوس الساهدين؛ لكن لا يوجد ليل حقيقي يتوعده كائن من كان من البشر بالنكاية منه، ولا يوجد كائن من كان من البشر يمكنه إزجاء الفجر المشرق ليهاجم الليل، أو يشير عليه جنودا من وهج الصباح، ولا يوجد ليل حقيقي له عسكر أسود يتمكن كائن من كان من البشر أن يغرقه بالضياء، ولا يوجد ليل حقيقي يذني الأمراض المستعصية من الخلق؛ ولذلك فالليل هنا مقصود به الشاعر حمزة شحاتة لا غير.

وفضلا على ما ذكرنا من بيان استحالة أن يكون الليل هنا ليلا حقيقيا؛ فإن الرجوع إلى الظروف الشخصية والاجتماعية زمن كتابة القصيدة، ومتابعة ما كتبه النقاد المعاصرون عن الشعراء؛ يؤكد لنا حقيقة الرمز التي ذكرناها، ويكشف نوع الرمزية، وهي رمزية التورية والتلميح بغرض الهجاء.

ويؤكد الدكتور إبراهيم الفوزان دلالة لفظ الليل في النموذج هذا، وفي نماذج أخرى من شعر العواد ، يقول: " ظفر الأدب الحجازي بروائع من القصائد والمطولات الشعرية؛ فقد ناجى محمد حسن عواد الليل بقصيدة طويلة فلسفية، وانتقص ظلمته وسمة السواد فيه، وهو في الحقيقة كان يرمز إلى انتقاص حمزة شحاتة؛ لأنه كان أسمر اللون، وكان العواد يوقع قصائده

---

(٣٤) كان لكل من الشعراء فريق من الشعراء ينتصر لصاحبه بالشعر ضد خصمه، وكانت جريدة صوت الحجاز هي ساحة تلك المعركة بين أولئك الشعراء جميعا، يراجع:  
- د. عثمان الصالح الصوينع، حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر، مطابع الفرزدق، الرياض ١٤٠٨هـ، الجزء الأول، ص ٣٠١.

الرمزية الهجائية بـ"أبولون" فأراد شحاعة أن يرد عليها بهجاء مثله، ولكن الرقابة الدينية وقفت أمام نشر مثل هذه القصائد؛ فاحتال على الرقابة بأنه ينتقص من هذا الإله الأسطوري، وفي الحقيقة كان يقصد العواد<sup>(٣٥)</sup> وأكد هذا أيضا الدكتور مصطفى إبراهيم حسين<sup>(٣٦)</sup> وآخرون<sup>(٣٧)</sup>

ولم يتوقف العواد في هجائه حمزة شحاعة عند هذه القصيدة التي أوردنا منها هذا النموذج؛ فقد هاجمه في قصائد أخرى عديدة؛ بل خصص له ديوانا كاملا في هذا الغرض<sup>(٣٨)</sup>.

وللشاعر حمزة شحاعة قصائد مماثلة في هجاء محمد حسن عواد، كان يلجأ فيها إلى الرمز أيضا تخفياً وهروباً من الرقابة على المنشورات التي لا تجيز مثل ذلك الهجاء.

#### الخاتمة:

١- إن الدلالات السياسية والوطنية هي أكثر الدلالات ورودا من غيرها لدى الشعراء السعوديين، ومنها معاناة الأمة، التي عبرت عن هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧م، التي منيت بها الأمة العربية كلها، وقد كان الرمز من نوع الرمزية الشبيهة بالرمزية الغربية الحديثة المعتمد على رمزية الموضوع المتفاوت في درجة الإبهام والوضوح.

٢- ومن مظاهر معاناة الأمة مذلتها وتسلسل الأعداء عليها، واتضح أن معاناة الأمة ليست أمرا مستحدثا في هذا العصر؛ بل حاول الشاعر إيقاظ هذه الأمة وحثها على النهوض، وذلك بتذكيرها بتاريخها المجيد. ونوع الرمزية هو الرمزية العربية الموروثة، أو ما يعرف برمزية التورية والتلميح.

---

(٣٥) د. إبراهيم بن فوزان الفوزان، الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨١م، الجزء الثالث، ص ١٢٩٥ وما بعدها.

(٣٦) د. مصطفى إبراهيم حسين، أدباء سعوديون، دار الرفاعي، الرياض ١٤١٤هـ، ص ٢٠١.

(٣٧) يراجع في ذلك:

عبد الله عبد الجبار، التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، معهد الدراسات العربية بالقاهرة، ١٩٥٩م، ص ٢٣٢.

عزيز ضياء، حمزة شحاعة قمة عرفت ولم تكتشف، مطابع اليمامة، الرياض، ١٣٩٧هـ، ص ٢٣.

(٣٨) محمد حسن عواد، ديوان: الساحر العظيم أو يد الفن تحطم أصنام الأتباع (ضمن المجموعة الكاملة) دار العالم العربي بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

٣- ومأساة فلسطين - التي كانت ومازالت قضية العرب الأولى - من معاناة الأمة كذلك؛ نجد الشعراء السعوديين يخصونها بحديث مستقل في أشعارهم؛ وإسهامات الشعراء السعوديين في التعبير عن مأساة فلسطين لا تقف عند نموذج بعينه؛ فأكثر الشعراء بمختلف توجهاتهم لهم إسهامات عديدة في هذه المأساة بكل أبعادها.

٤- ومن مظاهر معاناة الأمة فقر الشعوب بسبب نهب خيراتها، وتبدو الرمزية العربية الموروثة المتكئة على التلميح؛ ويبقى الرمز منتميا إلى النوع العربي الموروث.

٥- ومن مظاهر معاناة الأمة؛ ما يفسر ب فقدان الحرية، والرمزية المستخدمة تمثل مستوى ثالثا من الرمزية العربية التي تعتمد على التلميح لا التصريح.

٦- أما الدلالات الاجتماعية فلا يمكن بحال من الأحوال أن تنفصل الحياة الاجتماعية عن نظيراتها الأخرى في أي مجتمع من المجتمعات؛ فهي بلا شك ذات علاقة ما بالحياة السياسية، والوطنية، والثقافية، والاقتصادية، وقد رأينا فيما مر كيف كانت الحياة السياسية وأخواتها بوساطة تعبير الشعراء عنها بلفظ الليل، ولا تختلف دلالات التعبير بالرمز في الحياة الاجتماعية كثيرا عن دلالات التعبير به في تلك الحيوانات من حيث سلبياتها أو إيجابياتها.

ومن الدلالات الاجتماعية عجز المجتمع عن الأخذ بأسباب النهضة الشاملة، والرمز المستخدم هو الرمزية العربية الموروثة والمعتمدة على التورية والتلميح التي تؤدي في النهاية إلى كشف الرمز.

٧- ومن الدلالات الاجتماعية التي يمكن استنتاجها من تأويل لفظ الليل جنوم الفساد واستمراره، وكان مقصد الشاعر من لفظ الليل هو الليل الرمزي لا الحقيقي، والرمز المستخدم هو من نوع الرمزية العربية المتكئة على التلميح، لا الغموض والإبهام.

٨- ومن الدلالات الاجتماعية للفظ الليل ما يمكن تأويله برفض التغيير والتجديد والتفاعل مع معطيات العصر مع الاحتفاظ بثوابت المجتمع وهويته، وقد استخدم الشاعر الرمزية الشبيهة بالرمزية الغربية، وعلى وجه التحديد استخدم رمزية الموضوع ذات المضامين المتعددة والمتفاوتة في درجة إبهامها وغموضها، وكان أكثرها من النوع الشفيف الذي يمكن الوصول إلى دلالاته.

٩- أما الدلالات النفسية فقد تبين لي أن الدلالات النفسية تنبعث من سبب نفسي له علاقة وثيقة بطبيعة التكوين النفسي للشاعر؛ الذي يقترب في بعض الأحيان من المرض النفسي، ويقترب

في أحيان أخرى من النزوع النفسي الدائم إلى دنيا المثال، كما يمتزج هذا التكوين النفسي في بعض الحالات بالتدخل الفكري وإعمال العقل؛ وكل ذلك في معظمه لا ينطلق من تجارب حقيقية مر بها الشاعر؛ بقدر ما ينطلق من تكوينه النفسي، أو ميله إلى توجه فكري يعتقه؛ فكان منها: دلالة الواقع النفسي الغامض والمخيف، والرمزية التي لجأ إليها الشاعر هي الرمزية الموروثة المعروفة برمزية التورية والتلميح.

ومنها أيضا: دلالة استمرار المعاناة المفضية إلى اليأس والتشاؤم، ولا تخرج الرمزية المستخدمة عن كونها رمزية شفافة تلمح ولا تصرح، وتُبين ولا تُخفي.

١٠- أما الدلالات الذاتية فهناك من الشعراء من يعبر عن معاناة فئات المجتمع بكافة من خلال التعبير المباشر عنها، أو بالتعبير غير المباشر بوساطة تعبيره عن معاناته الشخصية التي تتضمن - في الوقت ذاته - معاناة كافة أفراد المجتمع؛ وهناك من الشعراء من يهتم بالتعبير عن معاناته الذاتية فقط؛ دون أدنى تلميح أو تصريح إلى معاناة غيره، ومن هنا يمكن تصنيف مثل هذه التجربة في التجارب الذاتية التي تخص الشاعر فقط دون غيره؛ إلا أن هذا التعبير الذاتي المحض يمكن أن يكون صورة عاكسة لمعاناة الآخرين على الرغم من عدم تصريح الشاعر بذلك أو تلميحه.

ونقف في الدلالات الذاتية مع ثلاث دلالات للفظ الليل هي: دلالة عدم تحقق الآمال والأحلام، ودلالة معاناة هجر الحبيب، ودلالة الإشارة إلى شخص بعينه تخفيا وهروبا من الرقابة على المنشورات بغرض المهاجاة، ونوعية الرمز هي الرمزية العربية الموروثة التي تشف عن المضمون، ولا يصرح به، أو ما يطلق عليه رمزية التورية والتلميح.

١١- وقد ظفر الأدب الحجازي بروائع من القصائد والمطولات الشعرية؛ ومما لا شك فيه أن الدلالات الذاتية لرمز الليل في الشعر السعودي لا تتوقف عند تلك الدلالات الثلاث فقط؛ فلدى الشعراء السعوديين دلالات ذاتية أخرى كثيرة لكننا سنكتفي بهذه الدلالات الثلاث فقط في هذا البحث؛ لأن البحث ليس معنياً باستقصاء جميع الدلالات الرمزية وحصرها، بقدر ما هو معنيّ بإثبات وجود الدلالة ذاتها بوساطة التمثيل لها بأقل قدر ممكن من النماذج الشعرية.



## فهرس المصادر والمراجع

### أولا : المصادر و المراجع:

- إبراهيم بن فوزان الفوزان، الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨١م، الجزء الثالث.
- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ج/٣.
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩م.
- أحمد قنديل، ديوان: نار، منشورات قنديل التجارية للطباعة والنشر، جدة وبيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م.
- أسامة عبدالرحمن، ديوان: (شمعة ظمأي)، الكتاب العربي السعودي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٢م.
- د. تاج السر أحمد حران، حاضر العالم الإسلامي، إشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- حسن عبد الله القرشي، ديوان: النغم الأزرق، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى يناير ١٩٦٦م.
- حسين سرحان، ديوان: الطائر الغريب، نادي الطائف الأدبي، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ.
- حسين عرب، ديوان حسين عرب، ج ٢، شركة مكة للطباعة والنشر، (بدون تاريخ).
- حمزة شحاتة، ديوان حمزة شحاتة (الأعمال الكاملة)، دار الأصفهاني، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- د. درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (بدون تاريخ).
- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- سعد البواردي، ديوان: رباعياتي؛ دار الإشعاع، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
- عبد الرحمن الرفاعي، في أعقاب الثورة المصرية، ج ٣، ط ١ (د.ت).
- د. عبد الرحمن العشماوي، ديوان: شموخ في زمن الانكسار، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- عبد السلام هاشم حافظ، ديوان: عودة الفيضان، مطبعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- د. عبد الله الحامد، الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية، دار الكتاب السعودي، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.
- عبد الله عبد الجبار، التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، معهد الدراسات العربية بالقاهرة، ١٩٥٩م.
- عثمان الصالح الصوينع، حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤٠٨هـ، الجزء الأول.
- د. عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، الفجالة، القاهرة، الطبعة الرابعة (د.ت).
- عزيز ضياء، حمزة شحاتة قمة عرفت ولم تكتشف، مطابع اليمامة، الرياض، ١٣٩٧هـ.
- العواد، ديوان العواد، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج ١.
- محمد حسن عواد، ديوان: الساحر العظيم أو يد الفن تحطم أصنام الأتباع (ضمن المجموعة الكاملة) دار العالم العربي بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.
- محمد حسن فقي، ديوان: قدر ورجل، الدار السعودية للنشر، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.
- محمود عوض، اليوم السابع؛ الحرب المستحيلة .. حرب الاستنزاف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية ٢٠١٠م.
- محمود غنيم، ديوان: صرخة في وادٍ، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٣٧م.
- د. مصطفى إبراهيم حسين، أدباء سعوديون، دار الرفاعي للنشر والطبع والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- يحيى إبراهيم الألمعي، ديوان: عبير من عسير، مطابع الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
- ثانيا: الصحف والمجلات و المواقع الالكترونية:

- <https://ar-ar.facebook.com>
- <https://www.goodreads.com/book/show/22318261>
- جريدة صوت الحجاز في يوم الثلاثاء ١١/٢٧/١٣٥٥هـ - ١٩٣٧/٢/٩م.
- شبكة مشكاة الإسلامية
- <http://www.almeshkat.net/vb/showthread.php?t=30221#gs>  
c.tab=0
- د . حسام حسين حنودة، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، بحث بعنوان: أثر مصالح دول النفط العربية على فاعلية سلاح البترول في حرب عام ١٩٦٧، العدد (٣٦) يوليو ٢٠١٤.
- منتديات منابر ثقافية > منابرُ علومِ اللُّغةِ العَرَبِيَّةِ > منبر الأدبِ العَرَبِيِّ > منبر ديوان العرب > مع الشاعر : عبد الرحمن العشماوي .
- <http://www.mnaabr.com/vb/archive/index.php/t-786.html>
- الموسوعة العالمية للشعر العربي ، أدب، <http://www.adab.com>
- موقع البوابة <http://www.albawabhnews.com>
- موقع الشاعرة مها العتيبي على الفيس بوك.
- موقع بوابة الشعراء ،مها محمد العتيبي،
- <http://www.poetsgate.com/ViewPoem.aspx?id=29439>
- موقع جامعة أم القرى . <https://uqu.edu.sa/staff/ar/4280307>.